

جامعة الإسكندرية

كلية الآداب

قسم اللغات الشرقية

شعبة اللغة العبرية

## الواقع والخيال في رواية السيرة الذاتية العبرية

(دراسة في رواية "الصور التي على الحائط" لتسيونيت  
فتال كوبرفاسر)

המציאות והדמיון ברומן האוטוביוגרפיה העברית

מחקר ברומן "התמונות שעל הקיר" לציונית פתאל קופרווסר

Reality and Imagination In the Hebrew autobiography novel

study on novel, "The Pictures on the Wall" to Tsionit Fattal Kuperwasser

إعداد الباحثة

رجاء ربيع على عريف

## مقدمة

### - موضوع الدراسة :

يتناول البحث دراسة جنس أدبي متميز ظهر في الرواية العبرية منذ بدايات الأدب العبري الحديث في أوروبا ، وكذلك في مرحلة الهجرات إلى فلسطين، وهو أدب السيرة الذاتية ؛ حيث كتب الأدباء عن حياتهم وسيرتهم الذاتية وحياتهم اليومية في فلسطين ، وهو تيار أدبي ممتد منذ ذلك الحين حتى الآن. ويُعد أدب السيرة الذاتية أحد الراوفاذ المهمة للكتابة الأدبية النثرية ، فهو يكتسب لدى القراء أهمية خاصة ؛ حيث يكشف الكثير من الأسرار والاعترافات ، وأدب السيرة الذاتية لا يسير على نظام ثابت واحد ، فكل أديب يستخدم طريقة خاصة به ، فنجد بعضهم يلجأ إلى كتابة رواية أدبية صرفة يمزج فيها بين الواقع والخيال، والبعض الآخر يلجأ إلى كتابة شهاداتهم واعترافاتهم في كتب مستقلة وإن بقيت تحمل طابعاً أدبياً . ورواية " الصور التي على الحائط " لتسونيت فتال ، فهي سيرة ذاتية للطائفة اليهودية التي كانت موجودة في بغداد في النصف الأول من القرن العشرين ، مع القاء الضوء على قصة حقيقية تراجيديّة لبطلّة الرواية "نورية" ، وهي امرأة "ريادية" أرادت إسماع صوتها داخل المجتمع المحافظ آنذاك ، ونتيجة لذلك اضطرت للتعامل مع تحديات غير بسيطة.

### - سبب اختيار موضوع الدراسة :

على ضوء ما سبق جاء اختيار الباحث لرواية " الصور التي على الحائط " ، لكونها تكشف عن المؤامرات الصهيونية في العراق ، والاغراءات الصهيونية الوهمية ليهود العراق . بالإضافة إلى كشف استغلال الصهاينة المواقف لإجبار يهود العراق على الهجرة إلى فلسطين ومغادرة العراق ، وتوضيح موقف يهود العراق من ذلك ؛ حيث انقسموا ما بين مؤيد ومعارض للهجرة .

وجاءت الرواية لتكون محور البحث الذي يحمل عنوان " الواقع والخيال في رواية السيرة الذاتية العبرية .. دراسة في رواية الصور التي على الحائط لتسونيت فتال كوبرفاسر " ، وسوف يركز البحث على تحليل المضمون الاجتماعي للرواية التي تدور أحداثها حول وضع وأحوال يهود العراق وخاصة في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين قبل تهجيرهم من العراق قسراً بعد أحداث عام ١٩٥١ ، التي تعرف بأحداث الفرهود ، وأيضاً يركز البحث على الوقائع التاريخية الحقيقية والأحداث المتخيلة في الرواية .

### - أهمية الدراسة :

- التعرف على تيار السيرة الذاتية لما له من أثر كبير في الأدب العبري الحديث ، وباعتباره إحدى العلامات البارزة في التغيير الذي طرأ على الحقل الأدبي الإسرائيلي .

- لم تتم دراسة شخصية الكاتبة تسونيت فتال من ناحية ، ومن ناحية أخرى لم تتم دراسة روايتها الصور التي على الحائط ، وانحصر ما كتب عنها في بعض المقالات التحليلية العبرية .

- تمثل رواية الصور التي على الحائط رؤية جديدة في الأدب العبري المعاصر لجيل الروائيين الإسرائيليين ، التي تعيد تاريخ يهود العراق وتسترجه من العهد العثماني حتى نكبة ١٩٤٨ ،

بأسلوب فني أدبي عميق ، وتحري الدقة والصدق عند عرض الأحداث والوقائع التاريخية ، بالإضافة إلى تسليط الضوء على ما قامت به الحركة الصهيونية والصهاينة واستغلالهم المواقف للضغط على يهود العراق وإجبارهم على الهجرة إلى فلسطين، والكشف عن الرؤية الصهيونية لأحداث تلك الفترة .

- تسليط الضوء على رواية إسرائيلية ، التي انتشرت في الأوساط الإسرائيلية والعربية ؛ نظراً لأن كاتبة الرواية لم تولد أو تعيش أو تزور العراق ، وحققت الرواية مبيعات كبيرة ، وترجمت إلى العديد من اللغات ، وإلى اللغة العربية كذلك .

- توضيح وتقديم رؤية جديدة لوضع وأحوال يهود العراق في بغداد في النصف الأول من القرن العشرين بصورة مختلفة عن الأطروحات الصهيونية التي استغلت بعض الأحداث في العراق لإظهار اليهود بأنهم مضطهدين في الدول العربية من ناحية ، وإجبارهم على الهجرة إلى فلسطين من ناحية أخرى .

### -أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى:

- التعرف بأدبية إسرائيلية ، وكشف وتحليل رؤيتها لوضع يهود العراق وأحوالهم في النصف الأول من القرن العشرين .

- عرض الوقائع التاريخية الحقيقية والأحداث المتخيلة من خلال وجهة نظر إسرائيلية جديدة بالدراسة ، بداية من التواجد اليهودي في العراق واستقرارهم أثناء الحكم العثماني ومروراً بالاحتلال البريطاني ، واستغلال الحركة الصهيونية لبعض الأحداث لإجبار اليهود على الهجرة إلى فلسطين حتى قيام دولة إسرائيل ١٩٤٨ .

- الكشف عن الاتجاهات الأيديولوجية في الرواية .

### - مصادر الدراسة:

اعتمدت الدراسة بشكل رئيسي على رواية "התמונות שעל הקיר" الصور التي على الحائط للكاتبة الإسرائيلية تسيونيت فتال كويرفاسر " ציונית פתאל קוירפוסר" ، والتي صدرت عام ٢٠١٥ ، وتبلغ عدد صفحاتها ٣٠٤ صفحة ، وهي من إصدار دار النشر الإسرائيلية شري اشكنازي שרי אשכנזי - كريات جات קריית גת .

### - تساؤلات الدراسة :

تحاول الباحثة من خلال هذه الدراسة الوصول إلى إجابة على عدة تساؤلات وفرضيات ، كما تسعى بالفعل الباحثة إلى اختيار بعض الفرضيات التي تضعها أمامها من خلال تلك الدراسة والتي تتمثل فيما يلي:

-هل تحديد هوية نص الرواية بين الواقعية والخياليه له علاقة بحياة الكاتبة الواقعية أم الفكرية؟

- هل كانت الكاتبة صادقة في سرد الأحداث التي شكلت واقعها وحياتها ؟ وهل باحت للقارئ بخبايا تاريخها ؟ أم أنها أخفت أكثر مما أظهرت ؟

- كيف قامت الكاتبة باستغلال تقنية الوصف لتجعل من روايتها لوحة فنية جميلة؟

- فم تجلت مظاهر السرد الواقعي للتاريخ في رواية ؟

- كيف صاغت الكاتبة ، الوقائع المتخيلة في ظل سردها للحقائق التاريخية؟

- هل حدث تشوية أو تزييف للحقائق التاريخية في رواية؟

- ما الدلالات التي تومىء إليها الكاتبة وراء استدعائها تاريخ يهود العراق في النصف الأول من القرن العشرين ؟

### - منهجية الدراسة:

سوف تتبع الباحثة المنهج الوصفي التحليلي في الدراسة من خلال تحليل الرواية موضوع الدراسة من الجانبين الموضوعي والفني ؛ وذلك بهدف معرفة حال يهود العراق قبل الهجرة في النصف الأول من القرن العشرين أي عن التواجد اليهودي في العراق في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين قبل هجرتهم وتهجيرهم منها بعد أحداث الفرهود عام ١٩٥١م.

### - الدراسات السابقة :

لم يسبق لأي من الباحثين في مجال التخصص أن تناول رواية " الصور التي على الحائط " - محل البحث - بالدراسة أو التحليل. كما أن موضوع البحث يعد مشاركة وتكملة للدراسات والأبحاث الأكاديمية التي تناولت حال يهود بغداد قبل الهجرة من العراق إلى إسرائيل .

وتجدر الإشارة هنا إلى وجود دراسات سابقة حول تيار السيرة الذاتية في الأدب العبري وهي دراسة بعنوان " السيرة الذاتية في الرواية العبرية المعاصرة دراسة لرواية " بين مخالب القدر " للأديبة رحيل سيدوف مزراحي، للدكتور إبراهيم نصر الدين الديكي ، صدرت عن مجلة كلية اللغات والترجمة ، العدد الثاني ، عام ٢٠١٢ . ودراسة أخرى بعنوان " التعلق بين الرواية والسيرة الذاتية " قصة عن الحب والظلام " لعاموس عوز ، صدرت عن مجلة كلية الآداب ، جامعة حلوان ، العدد السادس والعشرون ، عام ٢٠٠٩ ، للدكتور إبراهيم نصر الدين عبد الجواد ديبكي . ودراسة ثالثة بعنوان " بين الأدب والتاريخ دراسة في سيرة بغداد بالأمس " للدكتور جمال أحمد الرفاعي ، صدرت عن مجلة الدراسات الشرقية العدد الثامن والثلاثون ، عام ٢٠٠٧ .

### - تقسيم الدراسة :

◆ قد قسمت الباحثة هذه الدراسة الى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو :

المبحث الأول : يتناول تعريف السيرة الذاتية في الأدب العربي والأدب العبري ، وحيات الكاتبة تسونيت فتال ، وعرض مضمون رواية " الصور التي على الحائط " ، وتعريف بالرواية .

المبحث الثاني: بعنوان المضامين الاجتماعية في رواية " الصور على الحائط " ، ويشمل التعايش اليهودي العربي داخل العراق ، ووضع اليهود داخل المجتمع العراقي ، وولاء يهود العراق لهوية الدياسبورا وصراع الأجيال بين الهجرة والبقاء ، والتراث الثقافي لليهود العراقيين.

المبحث الثالث: بعنوان الواقع والخيال في رواية " الصور التي على الحائط " ، ويشمل أحداث عام ١٩٢٩ ، أحداث عام ١٩٣٣ ، و أحداث ١٩٤١ ، و نشاط الحركة السرية الطلائعية في العراق ، أحداث ١٩٤٨ . وينتهي البحث بخاتمة تمثل حصيلة للاستنتاجات التي توصلت إليها الباحثة خلال الدراسة ، وأخيراً تستعرض الباحثة قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

### - صعوبات واجهتها الباحثة:

لقد واجهت الباحثة صعوبات كثيرة عند كتابة البحث ؛ وذلك لعدم توافر المراجع المتعلقة برواية "الصور التي على الحائط " ؛ وذلك لحدائتها بعض الشيء .

هذا وما كان من صواب فأحمد الله عليه وما كان غير ذلك فالكمال لله وحده ، وإني لآمل أن يوفقتي الله فيما يسره لي وهداني إليه ، وأتمنى أن تكون هذه الدراسة نفعاً لكل قارئ وباحث إن شاء الله ، فنسأل الله التوفيق والسداد ، وأن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه تعالى ، وهو نعم المولي ونعم النصير.

أولاً : مفهوم السيرة الذاتية في الأدب العربي:

كثير من الآراء النقدية النظرية ترى أن السيرة الذاتية هو مروياً يستعيد وقائع متبعثرة يقدمها في هيئة قصة تروي تفاصيل يعاد بناؤها في حياة منسجمة ومتماسكة ، ويتمسك الراوي بالأنا التي تعبر عن الإنعزالية والفنية ؛ وهو تمسك بمقاليذ الرواية من النسيان أو خيانة الذاكرة ؛ فالأنا هي الوحيدة التي تملك السيطرة على استئثار هوى النفس ويسقطها على الواقع الخارجي ، فيكون الوعي أجوفاً لو لم يسطر عليه الامتلاك الذاتي للأنا<sup>(١)</sup>.

إن أهم ما يميز فن السيرة الذاتية هو إعماده على أسلوب السرد ، فهي قادرة على أخذ بعض عناصر التقنية الفنية من الفن النثري ، وتساعد السردية الكاتب على إخراج والتعبير عن كل ما يجول بذاكرته ، فالسرد ؛ هو الخطاب الشفهي أو المكتوب الذي يتعهد بالأخبار عن واقعة ما ، أو سلسلة من الوقائع من خلال نظام معين لتتابع المشاهد احتواءً منه لواقعة معينة أو سلسلة من الوقائع ، فهو بذلك لا يخضع للغة المكتوبة كميّار أساسي، وإنما هو مرتبط فقط بنقل الوقائع والأخبار عنها ويكون هذا الإخبار شفاهة أو كتابة<sup>(٢)</sup>.

لا يمكننا الحديث عن السرد قبل أن نتعرف على مفهوم الرواية ، فالرواية ؛ عبارة عن سرد خيالي نثري أو حكاية ذات طول معين ، تصور فيها شخصيات وأفعال تمثل الحياة الحقيقية للماضي أو الحاضر على شكل حبكة ذات تعقيد ما<sup>(٣)</sup>.

كما أن الرواية تتحدد بالمدلول الفكري المرتبط بالخيال لا بخصائصها الشكلية فحسب ، فليس للرواية أية خصائص أو قواعد لكتابتها بل يحدد خصائصها موضوع الرواية المختار<sup>(٤)</sup>. فالخطاب الروائي له أبعاد مختلفة وعناصر جمالية ، التي تبوح بأسرار النفس للإنسان ، ليكشف لنا الروائي خلجات النفس البشرية أمامه وأيضاً للقارئ عبر الأحداث والشخصيات في الرواية ، في حياة يعيشها سوياً ، عبر سير الزمن وتفاعلاً مع المكان والتفاعل بين الواقع وخيال الروائي<sup>(٥)</sup>.

١- حداد نبيل، دراسة محمود: تداخل الأنواع الأدبية ، مؤسسة عبد الحميد شومان ، الأردن، جدارا للكتاب العالمي، مجلد ٢، ٢٠٠٩، ص ٨٦٢ .

٢- سعيد بنكراد: السيرة الذاتية: حقائق التاريخ وممكنات الهوية السردية ، مجلة علامات ، العدد ٣٨ ، المغرب ، ٢٠١٢ ، ص ٣.

٣- جيري مي هوثورن : مدخل لدراسة الرواية ، ترجمة : غازي درويش عطيه ، سلسلة المائة كتاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الدار التونسية ، ١٩٨٦م ، ص ٥ .

٤- برنار فاليط : النص الروائي (تقنيات ومناهج) ، ترجمة رشيد بنحدو ، منشورات ناتان ، باريس ، ١٩٩٢ ، ص ٧.

٥- زهيرة بنيبي: بنية الخطاب الروائي عند غادة السمان ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الحديث ، ٢٠٠٧ ، ص ٤١ .

ينظر إلى أن أفضل ما تداخل مع الرواية من أنواع الأدب هو السيرة الذاتية ، فالسيرة الذاتية ؛ هي نوع من السرد الذي يتسم بخصوصية العلاقة بين الرؤية الحكائية وبين الزمن ، وتكون بمحاولة الإنسان أن يكتب حياته ، مسجلاً حوادثها ووقائعها المؤثرة في سير الحياة ، متابعاً تطورها الطبيعي من الطفولة إلى الشباب ثم إلى الكهولة<sup>(١)</sup>.

نتج عن التشابك والتداخل بين السيرة الذاتية والرواية ما يعرف بـ " رواية السيرة الذاتية " ؛ وهي القالب الفني الذي يزاوج فيه الكاتب في عرض حياته الواقعية في شكل روائي ، يعتمد على السرد والتصوير وإيجاد الترابط والاتساق بين الأحداث الفنية ، مع استخدام الخيال في نطاقات محدودة تحقيقاً للمتعة الجمالية الفنية ، لاجئاً إلى الحوار لتجسيد الأحداث وتصويرها ، والكشف عن أبعاد شخصيته ، فرواية السير الذاتية مزج بين جنسي الرواية و السيرة الذاتية ، بين الواقع والخيال ليتسع مجال الكتابة والإبداع للكاتب<sup>(٢)</sup>.

فمصطلح رواية السيرة الذاتية تعني الجمع بين نمطين أديبين مركبين في عمل واحد ، ولكن يبقى نوع رواية السيرة الذاتية مركباً؛ يجمع بين الرواية والسيرة الذاتية ، ولكن يظل في الآخر وصف الرواية ، وذلك لأن الرواية والسيرة الذاتية متشابهين في التقنية السردية ، وتعد الرواية هي أكثر أنواع الأدب التصاقاً بفن السيرة الذاتية<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: مفهوم السيرة الذاتية في الأدب العبري:

كان بداية ظهور أدب السيرة الذاتية في الأدب العبري القديم في سفر نحemia " ספר נחמיה " ، أما في الأدب العبري الحديث ، فنجد أنها بدأت عند يوسف حايم برينر " יוסף חיים ברנר " في روايته " בחורף " في الشتاء" عام ١٩٠٤ . أما في الأدب العبري المعاصر أخذ تيار السيرة الذاتية (אוטוביוגרפיה) في التطور والصعود السريع في الأدب العبري المعاصر في العقدين الأخيرين، والذي تحتل فيه " الأنا" مكان الصدارة. وتضم التقاليد العامة لأدب السيرة الذاتية طرفي نقيض، في أحد هذه الأطراف توجد السيرة الذاتية التي تتطلع إلى الاعتراف والبوح وتعري الأجهزة النفسية وقصص الحياة الواقعية ، وفي الطرف الثاني نجد الحديث عن مجريات الحياة العامة.

لقد تميز هذا الأدب بالعودة إلى جيل الأجداد وبالخروج من تل أبيب والقدس إلى غيرها من الأماكن الأخرى، وذلك من خلال أدباء يحاولون إعادة تحديد هوية مجتمعهم. وأصبح تناول الحديث عن بنية ما بين الأجيال هو المشهد الأساسي في الثقافة الإسرائيلية الحالية، بفروعها المختلفة ولدى كل القطاعات: في الكمبيوتر في الصهيونية الدينية القومية، ووسط الشرقيين، وكذلك لدى أحفاد الجيل الأول الذين يبحثون عن الجذور من خلال الأدب الذي يهتم بـ "الأنا"<sup>(٤)</sup>.

١- طه حسين: بين السيرة والترجمة الذاتية ، مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ ، ص ٢٢ .

٢- شعبان عبد الحكيم محمد السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (رؤية نقدية)، ط ١ ، مصر. دار العلم والايامن للنشر، ٢٠٠٩ ، ص ٧٢ .

٣- إبراهيم نصر الدين عبد الجواد ديبكي: التعلق بين الرواية والسيرة الذاتية " قصة عن الحب والظلام " لعاموس عوز ، مجلة كلية الآداب ، جامعة حلوان ، العدد ٢٦ ، ٢٠٠٩ ، ص ٣٠٨ .

٤- إبراهيم نصر الدين ديبكي: السيرة الذاتية في الرواية العبرية المعاصرة : دراسة لرواية " بين مخالبا القدر" للأديبة رحيل سيدوف مزراحي. مجلة كلية اللغات والترجمة، ع ٢٤ ، ٢٠١٢ ، ص ١٠٦ - ١٠٨ .

ومن أمثلة هذا التيار في الأدب العبري المعاصر : إيال ميجد " آيل מגד " في رواية " ארץ אשה " أرض المرأة ، ورونيت مَطْلُون " רונית מטלון " في رواية " קול צלצילני " صوت خطوتنا ، و أوري برنشتاين " אורי ברנשטיין " في رواية " ספק חיים " حياة مشكوك فيها ، و لينة آيني " לאה איני " في رواية " ורד הלבנון " وردة لبنان ، وألونه فرانكل " אלונה פרנקל " في رواية " ילדה " صبية ، و تسفي يناي " צבי ינאי " في رواية " שלך סנדרו " لك يا ساندرو .

### ثالثاً: حياة الكاتبة تسيونيت فتال كوبرفاسر " ציונית فتאל קופרפוסר " وأعمالها:

كاتبة وباحثة متخصصة في أبحاث تاريخ الشرق الأوسط وروائية وقاصة ، وُلِدَتْ في إسرائيل في عام ١٩٦٤ ، ونشأت في مستوطنة بتاح تكفا " בתח תקווה " ، وهي من أصل عراقي لوالدين عراقيين ، هاجرا من العراق إلى إسرائيل في عام ١٩٥١ . وتحمل اسم عائلتين : فتال (عائلة أبيها) وكوبرفاسر (عائلة زوجها). وهي متزوجة من يوسي كوبرفاسر الذي عمل رئيس قسم الأبحاث سابقاً في الاستخبارات العسكري قبل أن يخرج من الخدمة برتبة عقيد ، ولديهما طفلين . توفي والداها، الأم وتدعى ديزي ربيع عام ٢٠٠١ والاب ويدعى عزرا فتال عام ٢٠٠٤ . وتحمل رتبة مقدم في الجيش الإسرائيلي في فيلق الاستخبارات ومنسق العمليات الحكومية في الأراضي المحتلة.

ورواية "الصور على الجدار" هي روايتها الأولى ، والتي نُشرت في إسرائيل عام ٢٠١٥ ، والرواية تصور حياة يهود بغداد في النصف الأول من القرن العشرين ، وانتشرت الرواية في الأوساط الإسرائيلية وحققَت مبيعات كبيرة ؛ وذلك لأن الكاتبة ولدت وتعيش في إسرائيل ، وتخدم في الجيش الإسرائيلي ، لم تر العراق قط . فالكاتبة تنتمي إلى التيار السائد في الأدب العبري الحديث ؛ ذلك التيار الذين يكتب عن الموطن الأصلي لإجداده ولم يشاهده . نالت الكاتبة جائزة الثقافة عام ٢٠١٧ من مركز التراث اليهودي البابلي ، الذي تم تأسيسه في عام ١٩٧٣ في أور يهودا بالقرب من تل أبيب .

### رابعاً: عرض مضمون رواية " התמונות שעל הקיר " الصور التي على الحائط :

تدور أحداث الرواية في حي يهودي في بغداد حول الشخصية المحورية وتدعى نوريا، وهي الابنة الصغرى لحوكي و نزيمة ، التي انجبت مريم و نعيمة ويعقوب ، وكانوا يعيشون في بيت واحد ، ويطلقون عليه البيت الأزرق مع عمتهم (وحيدة) ، تلك المرأة القاسية التي تتعامل بالسحر الاسود المحرم في الديانة اليهودية من أجل تغيير أقدار النساء ، وأقدار الآخرين من دون علمهم. وكان من بينهن نساء متزوجات أردن تعلق أزواجهن، الذين لم يكونوا سعداء معهن، أو فتيات غير متزوجات أردن إيجاب الخطاب على الزواج منهن؛ كما كانت هناك سيدات أردن عمل السحر وإحلال اللعنات والحسد على خصومهن.



وكانت مريم أخت نوريا خلفية عمتها وحيدة في القساوة والاذى والسحر . أما نعيمة فكانت ضعيفة الشخصية ومنصاعة لاوامر عمتها وحيدة ، أما نوريا فكانت اول من يكسر قوانين ( البيت الازرق ) ، وسمي بذلك لأنهم قاموا بطلانه باللون الأزرق معتقدين بذلك حمايتهم من الجن ، وذلك برفضها الزواج من نعيم ابن عمتها وحيدة المريض بعد ان تزوجتا اختيها من اولاد عمتها المصابين بالامراض ، حيث تزوجت مريم من هامي ، ونعيمة من روبين ، وتزوجت نوريا من ادور ، ذلك الشاب الذي خلصها من ايدي بعض المراهقين المسلمين الذين تعرضوا لها ، وبذلك تخلصت من تجبر اخيها يعقوب ، الذي كان يجبرها على غسل قدميه بصورة مهينة ويأمرها بتنظيف حذائه وغسل ملابسه ، واعتقدت بذلك الزواج أنها ستبدأ حياة جديدة ملؤها الحب والاحترام وتقدير الذات الا انها فوجأت بقساوته واهانتة لها المستمرة وضربه لها ، ولكن نوريالم تنصاع للضعف ورفضت نقوده التي يقدمها لها على طبق من المنية والتكبر والوعيد وقررت النزول للشارع والعمل لحياة كريمة ، وتعرفت الى صديقتها المطربة اليهودية ( زيزي ) التي كانت مقنعة بقتاع الاسلام امام المجتمع العراقي ، تلك المرأة التي سلب منها ابنها وحياتها مع زوجها بسبب إدعاء وافتراء زوج أخت زوجها عليها مما تسبب في طلاقها من زوجها وطردها أهلها لها، ووقفت إلى جوار نوريا وساعدتها في حل كثير من مشاكلها .

انقلت نوريا بواجبات شتى فهي تعمل في البيت وخارجه وتربي الاولاد وتعلمهم وتعد لهم الطعام وتهتم بالزوج ورغباته رغم ارهاقها ولا تنال منه الا المهانة والضرب والسخرية، فضلا عن تحملها جفاء والديه ،

انجبت نوريا ابنائها الثلاثة وهم ( منير الابن البكر لها وكان متفوقاً دراسياً ، ولكن خالته مريم قامت بسحره ليتزوج من ابنتها بيرطة ، وكان السحر سبب وفاته . أما حاييم أصر على التطوع في الجيش العراقي للدفاع عن العراق ، مما أفقده خطيبته حنيني بنت خاله يعقوب ، واثناء تطوعه أصابه مرض السل ومات . أما يوسف الابن الثالث لنوريا فقد حياته في البيت الازرق بعد ان رفض الزواج من بيرطة زوجة اخيه منير؛ لان الديانة اليهودية تحرم الزواج بزوجة الاخ التي لديها ذرية ؛ حيث انجبت بيرطة لمنير بنت وأسمتها ليلي. فلم يبق لنوريا سوى سور اولادها الثلاثة المعلقة على الحائط وذكرياتهم واصواتهم التي لم تفارق منزلها.

فبعد ان فقدت نوريا اولادها الثلاثة ( منير – حاييم – يوسف ) في عام واحد لم تياس وجاهدت في خلق حياة جديدة بمولد ابنها الرابع ( ناحوم ) الذي لم تتمكن من ارضاعه بحجة انها ذات فال سيء على اولادها ، فحرصت على تثقيف ناحوم عن طريق ابنة اخيها ( حنيني ) التي طالما ساندتها في محنها الجمة والتي عانت من ظلم ابيها ( يعقوب ) في القضاء على احلامها ومستقبلها ، حتى كبر ناحوم الذي تربى في بيت حبيبة ابنة مريم وزوجها سمير الذين كانا يعملانه معاملة سيئة ، وكان ناحوم يعتقد أنهما والديه ، وبدأ يعتمد على نفسه فعمل في سن صغيرة كمساعد سائق ، وانضم للحركة السرية الطلائعية التابعة للحركة الصهيونية حتى تم الإعلان عن قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ ، وعرف ناحوم أن ادور ونوريه هما والديه ، وأخذ في إقناع والديه بضرورة الهجرة إلى إسرائيل .

### خامساً: دوافع كتابة الرواية :

تحكي " تسونيت فتال " عن سبب كتابتها رواية "الصور التي على الحائط" فتقول: " انني بنت لعائلة من مواليد بغداد غادرت إلى إسرائيل عام ١٩٥١ مع معظم العائلات اليهودية في العراق بعد إسقاط جنسيتهم ومصادرة ممتلكاتهم وتهجيرهم قسراً بعد أحداث الفرهود ١٩٤١ ، وهذه الرواية هي نتيجة الشوق الشديد إلى والداي اللذين توفيا فجأة منذ أكثر من عشر سنوات".

تقول الكاتبة تسونيت فتال عن روايتها أنها استطاعت بعد ثلاث سنوات من البحث والتقصي وقراءة الكتب والأعمال الأدبية للأدباء اليهود العراقيين ، أن تقدم للقارئ رواية عن يهود العراق ، حيث أنها لم تتمكن من زيارة بغداد لاكتشاف جذورها ؛ فاستطاعت تسونيت أن ترسم خريطة للحي اليهودي القديم في بغداد واصفة من خلال روايتها الأزقة الضيقة والمتعرجة في الحي اليهودي القديم وجمال نهر دجلة وحدائق أشجار النخيل ، كما من خلال صفحات الرواية يمكن أن نسمع صراخ الأطفال الذين يتعلمون السباحة في نهر دجلة ، وصيحات التجار في سوق حنون وأصوات الرجال المدخنين الجالسين في المقاهي يلعبون الطاولة والدومنة ، وأصوات الصلوات تنبثق من معبد زلخة "זלחה" ، وكنيس "בית הכנסת" " الصلاة الكبيرة" الذي يظهر ، ويمكن أن نشم رائحة الشاي والسمك المسكوف ، والغلبة بالصمون والكشري .

اطلعت"الكاتبة تسونيت " أثناء كتبها للرواية على الأعمال الأدبية للأدباء اليهود العراقيين الذين كتبوا باللغة العربية أمثال أنور شاؤول ، سمير نقاش ، يعقوب بلبول ، سلمان درويش، مير بصري وشمونيل موريه . وأيضاً على كتب دراسية لباحثين عراقيين تتعلق باليهود العراقيين أمثال : مازن لطيف ، نبيل الربيعي ، د. خالدة حاتم علوان . وتقول الكاتبة : العراق كان بالنسبة لأهلي ، وايضا بالنسبة لأجيال كثيرة من أفراد عائلتي وطنا حبيباً ، وبعد الفراق منه بقي في قلوبهم شعور الحزن والام من حيث انهم تعرضوا للاضطهاد وعمولوا كغرباء . أنا آمل أن يأتي اليوم الذي أستطيع أن ازور بغداد وليس بشكل افتراضي فقط كما ورد في روايتي<sup>(١)</sup>.

### سادساً: عنوان الرواية :

الرواية تحمل عنوان " الصور التي على الحائط " ، ويبدو من الاسم أن الكاتبة اشتاقت لذكريات الماضي اليهودي في العراق ، فأرادت الرجوع بالزمن إلى ذلك الماضي في فترة النصف الأول من القرن العشرين ، حيث أحداث الرواية ، فاختيار عنوان الرواية يمثل جزءاً مهماً من أجزاء العملية الإبداعية ؛ إذ هو يلقي ضوءاً كثيفاً على محتوى الرواية " <sup>(٢)</sup>.

١- مازن لطيف: الرواية تسونيت فتال تغلب صورها على حائط الحي اليهودي في بغداد ، حوار في جريدة العالم البغدادية يوم الثلاثاء ٢٠١٦/٥/١٧.

٢- ديفيد لودج: الفن الروائي ، ترجمة ماهر البطوش، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص. ٢١٨.

المضامين الاجتماعية في رواية " الصور على الحائط التמונות שעל הקיר ":

أولاً: التعايش اليهودي العربي داخل العراق:

كُون اليهود طائفة متجانسة نسبياً ، ومتأصلة دينياً بالعراق ، واستطاعوا الحفاظ على هويتهم وعاداتهم وثقافتهم عبر الزمن ، كما كفلت حقوقهم وأخذوا العهد بالأمان على أموالهم وأملاكهم وأعراضهم ، كما أعطوا كامل الحرية في ممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية<sup>(١)</sup> . وقد نجحت الروائية "تسيونيت فتال كوبرفاسر" من خلال سردها لتفاصيل الحياة الاجتماعية في بغداد في رواية "الصور التي على الحائط" أن تصور لنا أحداث الرواية التي تدور في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين حتى عام ١٩٥١ ، وهي قصة حياة عائلة يهودية تعيش في حي يهودي في بغداد القديمة ، مكونة من الأب حوكي والأم نزيمة وابنائهما الأربعة مريم ونعيمة ونوريًا ويعقوب وأحفادهم ، والعمة وحيدة وزوجها صالح وابنائهما الثلاثة المرضى هامى وروبين ونعيم وأحفاهم .

وقد جسدت الكاتبة "تسونيت فتال" أحد المظاهر الاجتماعية في الرواية تجسيدا واقعياً لأحياء اليهود الثرية والفقيرة في بغداد . وحول ذلك تقول الرواية :

רק כשראתה את הנוף המשחרר של בגדאד החדשה، הבינה עד כמה חייה כבולים בתוך אותם בתים צפופים ומחניקים - ובה בעת חשופים לעיני כול. חלונות השנאשיל שפנו לסמטאות הרובע היו כל כך קרובים עד שנגעו זה בזה، קירות הבתים נתמכו בקירות הבתים הסמוכים، והחצרות הפנימיות، הנסתרות מפני ההולכים בסמטאות، היו כספר הפתוח עבור כל מי שהשקיף בהן דרך הגגות המשותפים. כך כולם ידעו הכול על כולם، ואיש מדרי הרובע לא יכול היה לשמור על פרטיותו<sup>(٢)</sup>.

" فقط عندما شاهدت منظر بغداد الجديدة الباعث على الحرّية ، أدركت إلى أي حد حياتها مكبّلة داخل البيوت المزدهمة الخائقة لكنها مكشوفة في الوقت نفسه أمام عيون الجميع. فشبابيك الشناشيل\* التي تطلّ على أزقة الحيّ اليهودي كانت قريبة جدا حتى أصبحت متلاصقة ، وجدران المنازل تسندها جدران منازل مجاورة ، وكانت الساحات الداخليّة ، الخفية عن عيون المارة في الأزقة ، كالكتاب المفتوح أمام كلّ من يطلّ عليها من الأسطح المشتركة. هكذا عرفوا كلّ شيء عن بعضهم البعض، ولم يستطع أيّ من سكّان الحيّ الحفاظ على خصوصياته "

١-عباس شبلاق :هجرة أو تهجير ظروف وملابسات هجرة يهود العراق ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ط١ ، بيروت ، ٢٠١٥ ، ص ٥-٦.

٢-زيونيت فتال كوبرفوسر: التמונות שעל הקיר ، שרי אשכנזי ، קרית גת ، ישראל ، 2015، עמ" 16.

\* الشناشيل : هي شرف مزخرفة من الخشب تعمل على إبراز واجهة الطابق الثاني من البيت وتطل على الشارع.

اعتبرت الدولة العثمانية (الأترک) اليهود رعايا مخلصين لهم في العراق ؛ حيث عاش يهود العراق تحت الحكم العثماني في ظل نظام متساهل لايشجع شيوع التعصب ، بالإضافة إلى تمتع اليهود بسلوك أخلاقي حسن وعدم وجود ما يمنع اختلاطهم بباقي السكان ، فسمحوا لهم بممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية<sup>(١)</sup> ، وحول ذلك تقول الرواية :

בסמטה השנייה היא פנתה ימינה וחלפה ביראת כבוד על פני בית מדרש זלכה, שהיה ידוע בכך שהאור שעלה מעששיות הנפט שבו לא כבה במשך כל השנה. אדון הסביר לה, לפני חמש-עשרה שנה, בימים הראשונים לנישואיהם, כשהיה עדיין חביב וסבלני כלפיה, שבבית המדרש הזה, שממנו יצאו גדולי חכמי בבל, לומדים תורה ללא הפסקה, כי אלוהים ציווה את בני ישראל להגות בתורה יומם ולילה. ואז זרק לעברה: "אילו הייתי ממשיך ללמוד בישיבה, לעולם לא הייתי יוצא מפתחה עד שהיו מכריזים עלי כעל עילוי בתורה כמו סבי ואבי סבי"<sup>(٢)</sup>.

" أتجهت في الزقاق الثاني يمينا ومرت بخشوع من أمام معبد زلخة ، التي عُرف عنها أن النور الذي كان يخرج من مصابيحها الزيتية لم ينطفئ طوال العام. أخيرها أدور قبل خمس عشرة سنة، أي في الأيام الأولى من زواجهما، عندما كان لا يزال لطيفاً وصبوراً معها، أنه في هذه المدرسة التي خَرَّجت عظماء حكماء بابل، يدرسون التوراة بلا توقف؛ لأن الله أوصى بني إسرائيل بتلاوة التوراة ليلاً ونهاراً. ثم لمزها قائلاً: "لو أنني أكملت الدراسة في أليشيبا \* ، لما غادرتها أبداً حتى يعلنوا عني طالباً موهوباً في التوراة، مثل جدي، ووالد جدي".

ظل حال اليهود في العراق كما هو عليه حتى تغيرت الخريطة السياسية في المشرق العربي تغييراً جذرياً ؛ نتيجة الحرب العالمية الأولى ، إذ هُزم الأتراك وطردهوا من المنطقة التي سيطر عليها البريطانيون والفرنسيون ، وكان الأتراك أثناء الحرب العالمية الأولى يأخذون الرجال عنوة ، وإرسالهم إلى الحرب سواء مسلمين أو يهود أو غير ذلك ، فحرص الجميع على عدم صبغ شعرهم، اعتقاداً بأن الجنود لن يرسلوا إلى الجبهة رجال يبدون مسنين ، وحول ذلك تقول الرواية :

עם תום התפילה יצאו הגברים, שנראו מוזנחים וזקנים לגילם, מבית הכנסת ומיהרו לביתם. היו אלה ימי המלחמה הגדולה, שבה נלחמו הבריטים, הצרפתים והרוסים בעות'מאנים, ששלטו אז בעיראק. בשכונות היהודיות נפוצו סיפורים על חטיפות של אלפי גברים בידי חיילים תורכים ושליחתם בכוח להילחם באויב, ולכן הקפידו כולם לא לצבוע את שערם, כי האמינו שהחיילים לא ישלחו לחזית אנשים הנראים מבוגרים. אפילו אביה הפסיק לטשטש את גילו ונאלץ בשל כך להימנע מלברק בתיאטרון<sup>(٣)</sup>.

١-غادة حمدي عبدالسلام : اليهود في العراق في الفترة من «١٨٥٦-١٩٢٠» ،رسالة ماجستير (غير منشوره) ، كلية الآداب المنصورة ٢٠٠٧، ص ١٥١.

٢-ציונית פתאל קופרווסר: התמונות שעל הקיר, עמ" 12-13.

\* أليشيبا : هي مدرسة دينية يهودية كان يتم فيها تعليم مصادر الهالاخاه (الشريعة اليهودية) وخاصة التلمود.

٣-שם , עמ" 72.

" بعد انتهاء الصلاة خرج الرجال، الذين كانوا يبدون مهملين وشيوخاً ، من الكنيس وأسرعوا إلى بيتهم. كانت تلك الفترة أيام الحرب الكبرى، التي حارب فيها البريطانيون والفرنسيون والروس والعثمانيون الذين كانوا يحكمون العراق في ذلك الوقت. انتشرت القصص في الأحياء اليهودية حول خطف الجنود الأتراك لآلاف الرجال وإرسالهم عنوة لمحاربة العدو، لذلك حرص الجميع على عدم صبغ شعرهم، لأنهم اعتقدوا أن الجنود لن يرسلوا إلى الجبهة رجال يبدون مسنين. حتى أبوها توقف عن إخفاء عمره ولذلك اضطر إلى عدم الذهاب إلى التياترو".

بوقوع العراق تحت الاحتلال البريطاني انفتح المجال واسعاً أمام النشاطات الصهيونية التي سُمح بممارستها في الفترة ما بين الحربين العالميتين ، إلى أن نجحت الحركة الصهيونية في إقامة دولة لليهود في فلسطين عام ١٩٤٨ ، بالإضافة إلى اهتمام بريطانيا بالطوائف اليهودية ؛ وذلك بسبب الدور الذي يؤديه اليهود في المجال التجاري ، فضلاً عن اهتمام بريطانيا بحل ما يسمى المسألة اليهودية خارج حدود أوروبا (١) ، وحول ذلك تقول الرواية :

הבריטים שהגנו על היהודים כבר עזבו، ועיראק של פִּיסֶלְ, שפעם ראתה בכל תושביה בנים לגזע השמי ולעם העיראקי ללא הבדל דת או שיוך אתני, השתנתה מהיום שקיבלה את עצמאותה<sup>(٢)</sup>.

" فالبريطانيون الذين كانوا يدافعون عن اليهود قد غادروا، وعراق فيصل ، الذي اعتبر يوماً ما كل سكانه من أبناء الجنس السامي، من دون تمييز في الدين أو العرق شعباً عراقياً من دون تمييز في الدين أو العرق ، قد تغير من اليوم الذي نال فيه الاستقلال "

تجدر الإشارة إلى أن يهود العراق تمتعوا بكافة الحقوق الاجتماعية ، والدينية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والإنسانية طوال فترة تواجدهم في العراق .

### ثانياً : وضع اليهود داخل المجتمع العراقي:

عاش اليهود في العراق كسائر سكان العراق دون تفرقة أو تمييز ، ولكنهم عانوا ظروفاً صعبة كسائر أبناء المنطقة خلال الحرب العالمية الأولى ، وساعدوا أبناء العراق في التخلص من الحكم العثماني ، وكانوا فرحين ومؤيدين للاحتلال البريطاني للعراق الذي بدأ بعد الحرب العالمية الأولى ، وخلال تلك الفترة تحسنت أوضاع اليهود في المجال السياسي ، والثقافي، والاقتصادي، والتجاري ، الامر الذي جعل الاحتلال البريطاني يقوم بتشغيل اليهود بالإدارات والدوائر الحكومية والمصالح البريطانية<sup>(٣)</sup>.

١-عباس شبلاق :هجرة أو تهجير ظروف وملابسات هجرة يهود العراق ، مرجع سابق ،ص ٣٦-٣٧.

٢-صيونيت فتال كوفرورس: التمازوت سعل الكير ، عزم 132-133.

٣- يوسي غولدشتيין : מבחר מקורות לתולדות הציונות בארצות המזרח، כרך ג'، המרכז לשלום מורשת - המזרח، 1977 ، عزم' 9 .

١- مشاركة اليهود في العمل السياسي:

كان اليهود العراقيون بعيدين عن السياسة خلال عصور عديدة ، ويعزي هذا الدور السلبي إلى تقديرهم موقعهم في المجتمع كأقلية ضعيفة على الرغم من تقدم أوضاعهم الاقتصادية ، لكن أحداث ووقائع الحرب العالمية الثانية وأحداث العنف في العراق عام ١٩٤١ ، كانت صافرة إنذار لليهود العراق بضرورة تفاعلهم مع مشكلات مجتمعهم العراقي ، وخصوصاً في أوساط الشباب اليهودي المثقف والمتعلم ، فكان بروز الجناح الديمقراطي في قيادة الحركة الوطنية وكذلك تأثير الحركة الصهيونية بـفلسطين كان لهما بالغ الأثر في الشباب العراقي المثقف والمتعلم من اليهود ، فبادرت أعداد جمة من الشباب للانضمام للأحزاب السياسية والحزب الشيوعي العراقي حيث أدركوا أن مستقبل اليهود مرتبط بمصير الجماهير العراقية ، متعجبين لانعزال الجيل القديم من الانخراط في المجتمع العراقي العريض<sup>(١)</sup> . وهذا ما يتضح في الرواية حينما أراد حليم الابن الثاني لنوريه أن يتطوع في الجيش العراقي للحفاظ على أمن العراق ، وحول ذلك تقول الرواية :

"أني מתנדב רק לכמה חודשים، ואני שמח לסייע בשמירה על בטחונה של מולדתי ובהגנה על בית המלוכה ההאשמי... והאמין שטובת היהודים היא לגלות נאמנות מוחלטת למולדת העיראקית"<sup>(٢)</sup>.

"سأطّوع لعدة شهور فقط، وأنا سعيد بأنّي أساعد في الحفاظ على أمن وطني، والدفاع عن العائلة المالكة الهاشمية..... واعتقد أن مصلحة اليهود هي في إظهار الولاء التام للوطن العراقي "

٢- مشاركة اليهود في العمل الثقافي:

بعد الحرب العالمية الأولى بدأ الطلاب اليهود بالالتحاق بالجامعات في العراق والخارج ، واختار المبتعثون للدراسة بالخارج التوجه إلى دول أوروبا وتركيا والهند والولايات المتحدة الأمريكية ، بالإضافة إلى اختيارهم دول الجوار العربية للدراسة مثل لبنان وسوريا ومصر ، ولا توجد الإحصاءات والأعداد الدقيقة عن عدد الطلاب اليهود الذين أكملوا ، ووصلوا لمرحلة التعليم العالي ، ولكن هناك أدلة تؤكد أن نسبة الخريجين من اليهود كانت تفوق نسبة بقية العراقيين ، وازدادت أيضاً نسبة الطلاب اليهود الذين حصلوا على منح دراسية حكومية بالخارج<sup>(٣)</sup> . ويتضح ذلك في الرواية عند إنهاء منير الابن البكر لنوريه دراسته في الثانوية بتفوق كبير وقبوله لدراسة الحقوق في الجامعة الأمريكية في بيروت ، وقبوله أيضاً لدراسة الحقوق في بغداد. وحول ذلك تقول الرواية :

١-عباس شبلاق :هجرة أو تهجير ظروف وملابسات هجرة يهود العراق ، مرجع سابق ، ص ٧٠ .

٢-صيونيت فتאל كوفروروسر: התמונות שעל הקיר ، עמ" 137 – 138.

٢-عباس شبلاق :هجرة أو تهجير ظروف وملابسات هجرة يهود العراق ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

הגיעו לביתה של נוריה מכתבים מבית הספר הגבוה ללימודי משפטים בבגדאד ומהאוניברסיטה האמריקנית בביירות، שהיה מיועדים למאיר. נוריה פתחה את המעטפות בסקרנות וביקשה מחיים לקרוא לה את תוכנו. חיים קרא במיומנות "אדון נכבד، הרינו שמחים להודיעך, כי התקבלת ללימודי משפטים באוניברסיטה האמריקנית בביירות". במכתב האחר הופיע נוסח דומה לגבי קבלה ללימודים בבית ספר הגבוה ללימודי משפט בבגדאד<sup>(1)</sup>.

" وصلت إلى بيت نوريا خطابا ، من كلية الحقوق العليا في بغداد ، ومن الجامعة الأمريكية في بيروت. فتحت نورية الخطابات بفضول وطلبت من حיים أن يقرأها لها. قرأ حיים ببراعة : "السيد المحترم ، يشرفنا أن نخبرك بأنه قد تم قبولك لدراسة الحقوق في الجامعة الأمريكية في بيروت"، وفي الخطاب الآخر صيغة مشابهة حول قبوله في كلية الحقوق العليا في بغداد " .

### ٣- مشاركة اليهود في العمل التجاري و الاقتصادي:

كانت غالبية اليهود في بلاد ما بين النهرين في العصر الوسيط أو في القرن التاسع عشر يعملون بالأعمال التجارية البسيطة أو بالحرف اليدوية ببغداد ، أو كباعة متجولين ، إلا أن هذا الوضع سرعان ما تحول في أواخر القرن التاسع عشر ؛ بعدما أدت الطائفة اليهودية دوراً واضحاً في التجارة الخارجية والصيرفة والإئتمان<sup>(2)</sup>. ويتضح ذلك في الرواية حيث عمل صالح زوج وحيد في العطارة وتركيب الأدوية من الأعشاب الطبية ، وعمل حوكي ونعيمة وأبنائها في محل الفطائر ، بالإضافة إلى والد (أمل) محبوبه منير الذي شغل منصب مدقق الحسابات في وزارة المالية العراقية، وأيضاً المحاسب العام للوزارة " إبراهيم الكبير" اليهودي ، والوزير اليهودي الأول في الوزارة "السراسون يحزقييل" . وحول ذلك تقول الرواية :

ושאביה עבד כרואה חשבון בכיר במשרד האוצר העיראקי, תחת פיקוחו של אברהם אלכפיר היהודי, החשב הכללי של המשרד, ששמו הלך לפניו כמו זה של השר היהודי הראשון של המשרד, סר ששון חסקיל<sup>(3)</sup>.

" وأن أباه ( أمل . الباحثة ) مدقق حسابات كبير في وزارة المالية العراقية، تحت إشراف إبراهيم الكبير اليهودي المحاسب العام للوزارة، والذي ذاع صيته مثل أول وزير يهودي في الوزارة ، السراسون يحزقييل".

١- ציונית פתאל קופרווסר: התמונות שעל הקיר, עמ' 109-108.

٢- عباس شبلاق: هجرة أو تهجير ظروف وملابسات هجرة يهود العراق ، مرجع سابق، ص ٢٢.

٣- ציונית פתאל קופרווסר: התמונות שעל הקיר, עמ' 93.



ثالثاً: ولاء يهود العراق لهوية الدياسبورا Diaspora (الشتات) وصراع الأجيال بين الهجرة

### والبقاء:

تعود جذور هذه الهوية إلى ما قبل قيام إسرائيل بأمد كبير ، حيث كانت الجموع اليهودية لا تمارس العمل السياسي ، رغم ما نعموا به أحياناً من حكم ذاتي ثقافي. فكل ما يريده اليهودي المتمسك بهوية الشتات والرافض للهجرة اليهودية إلى إسرائيل ، والهوية الإسرائيلية هو أن يحافظ على كيانه في المجتمع الذي يعيش فيه ، وأن يستمسك بتراثه الروحي الذي اكتسبه على مدار السنين في المجتمع الذي يعيش فيه . ويتضح ذلك في الرواية متمثل في نوريه الراضة للهجرة اليهودية إلى إسرائيل ، والهوية الإسرائيلية ، وصراعها مع زوجها أدور وابنها ناحوم اللذان يريدان الهجرة إلى إسرائيل ، وبالتالي الهوية الإسرائيلية<sup>(١)</sup>. وحول ذلك تقول الرواية :

"أني لا عוזבת את בניי،" הכריזה נוריה באוזני אדור שכבר איבד את סבלנותו מרוב מאמציו לשכנע אותה שתיסע אתו לישראל. "אני לא מכירה את הארץ החדשה، שאליה אני צריכה ללכת ובה בעת אינני רוצה לעזוב את נחום ואת כל אהוביי שקבורים פה באדמה שבה נולדנו" <sup>(١)</sup> .

"لن أترك أبنائي"، قالت نورياً لأدور الذي فقد صبره من كثرة جهوده إقناعها أن تسافر معه إلى إسرائيل "أنا لا أعرف البلد الجديد، الذي يجب أن أذهب إليه ، كما أنني لا أريد ، في الوقت نفسه، ترك ناحوم وكل أحبائي المدفونين هنا في الأرض التي ولدنا فيها".

### رابعاً: التراث الثقافي لليهود العراقيين:

واتضح ذلك في الرواية مثل عادة رش الملح أمام باب البيت وعلى شخص لذهاب الحسد ، والخروج من البيت بالقدم اليمنى لجلب الرزق، كذلك طلاء البيوت باللون الأزرق اعتقاداً منهم أن ذلك يطرد الجن والأرواح الشريرة ومن أجل التخلص من السحر ، والمرور فوق إناء البخور سبع مرات ، وتمشيط الشعر وجدله سبع جدائل لتجنب الحسد ، وإقامة الحداد سبعة أيام حزناً على الميت ، ودحرجة التابوت سبع مرات وقلبه على عقبه لإبعاد الموت عن أهل الميت ، بالإضافة إلى طقوس التحلل من النذور التي كانت تقام عشية رأس السنة وغيرها من العادات الاجتماعية والمعتقدات والأفكار والطقوس التي كان يستخدمها يهود العراق.

١- يוסف اغسي واحريم : مي הוא הישראלי ، כיוונים 1991، עמי 34.

٢- ציונית פתאל קופרווסר: התמונות שעל הקיר، עמי 297.



المبحث الثالث ..الواقع والخيال في رواية " الصور التي على الحائط ":

الواقع ؛ هو الوجود المادي للإنسان بعوامله المتعددة من مكان وزمان وثقافة وتاريخ وكذلك أطره السياسية والاقتصادية والتكنولوجية جميعها ، بل أن كل هذه العوامل ما هي إلا نتيجة تفاعل الإنسان مع الواقع ، فيؤثر الإنسان بالواقع ويتأثر به ، فيعبر الإنسان عن نفسه في أوساطه الاجتماعية من خلال حديثه وكلامه ، فيتحول إلى كتابة وأدباً يعبر عن واقعه ، فالواقع ؛ هو الكيان الحقيقي الذي ينبع منه الأحداث التي يستمد الكاتب منها أدبه سواء الأحداث وقعت في الماضي أو الحاضر أو ستقع في المستقبل ، فيستعين بها الكاتب أو الروائي ويسطرها في كتاباته معبراً عما جال في ذهنه وخاطره . أما الخيال ؛ فهو قدرة ذهنية تنسج صوراً وتتخللها بطريقة تفوق الواقع الحقيقي الذي نعيشه ، بحيث يلعب الخيال دوراً بارزاً في نسج الأماكن والشخصيات والطرق والبيوتات ، وإضفاء نمط عصر معين ، فيصورها ويجسدها واقعاً محسوساً يلقي في خيالنا انطباعاتاً عن الحياة الكائنة وقتئذ ، هذا الزمان أو العصر الذي صوره الكاتب ما هو إلا محيطاً قد يكون له أثر سلبي أو ايجابي في كثير من الأحيان. بل أن الروائي يبذل قصارى جهده الفني لمحاولة إضفاء الخيال على الواقع ليكمله. فالخيال في كثير من الأحيان يتعدى الواقع ويفوقه من خلال ابتداع الروائي له ، ليمثل واقعاً أحياناً يكن مثالياً وتارة يكن سلبياً حسبما رؤية وتأثر الروائي به<sup>(١)</sup>.

إن العلاقة بين الواقع والخيال علاقة متشابكة ؛ لأن المتخيل يدرك من خلال الفكر فحسب ، كما أنه ليس أنتاج محسوس أو مادي تختلف الواقع عن الخيال ختلافاً كلياً ومتبايناً ، فالواقع معطى مادي محسوس حقيقي وملموس وله أثار محسوسة ، فالأديب يحيل إلى الواقع والواقع يحيل إلى الأديب ، بل إن هذه العلاقة بين الواقع والخيال هي أساس شخصية الكاتب<sup>(٢)</sup>.

أما عن علاقة السيرة الذاتية بالواقع والخيال ؛ فالسيرة الذاتية تسرد أحداث ومواقف عايشها الروائي ، ولكن الخيال لا يلعب دوراً رئيسياً بمتن الرواية ، ويظل دوره مقتصرأ على مجرد أن يصيغ الحقيقة فحسب ، ولا يختل أو يفتعل مواقف ، فيعبر الروائي عن مشاعره الإنسانية العميقة وانفعالاته ، تجاه تلك الأحداث والمواقف<sup>(٣)</sup>. أما رواية السيرة الذاتية فهي لصيقة بحياة صاحبها ، حتى لو هيمن الخيال على بعض الأحداث ، فيستلهم الراوي سمات الفن الروائي ، فتتصب أحداث الرواية على تجربة مريرة كابدها الروائي وكانت جزء من حياة الراوي ولكن شريطة أن يعبر الكاتب عن تلك التجربة الشخصية في قالب روائي تتوفر فيه أهم عناصر الرواية<sup>(٤)</sup>.

١- غشام سارة : جدلية الواقع والمتخيل في رواية "شاهد العتمة" لبشير مفتي ، أطروحة ماجستير، الجزائر ، ٢٠١٥، ص ١١ .

٢- حسين خمري: فضاء المتخيل مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف، الجزائر ، ط ١ ، ٢٠٠٢ ، ص. ٤٤

٣- شعبان عبد الحكيم محمد : السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، رؤية نقدية، دار العلم والإيمان. (د.ت) ، ص ٢٠ .

٤- أحمد هيكل : الأدب القصصي والمسرحي في مصر في أعقاب ثورة ١٩١٩ إلى قيام الحرب الكبرى، دار المعارف ، مصر، ط٤ ، ٢٠٠٦ ، ص ١٤٤ .

تحكي رواية " الصور التي على الحائط " أحداث تاريخية وقعت حقيقة جسدها الكاتبة تسونيت فتال بفعل مخيلتها ، وغيرت بعض أحداثها لتصبح رواية متخيلة تحكي لنا تلك الأحداث التاريخية الماضية ليهود العراق في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين أي في النصف الأول من القرن العشرين قبل هجرتهم وتهجيرهم قسراً منها بعد أحداث الفرهود عام ١٩٥١ ، وبذلك يحيل المتخيل ويصل إلى الواقع ، وهذا ممكناً ؛ لأن المتخيل في الرواية يأخذ من التاريخ ، والتاريخ يدون ما حدث بالفعل . وهذا ما نجده في رواية " الصور التي على الحائط " من خلال ما تعرضت له الكاتبة تسونيت فتال من عرض الأحداث التاريخية الآتية في قالب أدبي :

#### • أحداث عام ١٩٢٩ :

عرفت أحداث عام ١٩٢٩ بأحداث البراق (מאורעות תרפ"ט) ؛ وهي اشتباكات عنيفة اندلعت في مدينة القدس في ٩ أغسطس عام ١٩٢٩ ، قد قام بها الفلسطينيون في فترة الانتداب البريطاني نتيجة لتحيز الإنجليز الواضح لليهود وللهجرة الصهيونية ، حيث رأى الفلسطينيون أن الحل هو المقاومة للمؤسسات الصهيونية وكذلك للانتداب البريطاني الداعم للهجرة والاستيطان الصهيوني ، والمتغاضي عن جرائم الصهيونية واستفزاز العرب<sup>(١)</sup>.

فور وصول أنباء عن اندلاع الثورة في فلسطين إلى العاصمة العراقية بغداد ، اهتزت الشوارع بالمحتجين والمتظاهرين تأييداً لتلك الثورة ومناصرة الشعب الفلسطيني ، والوقوف إلى جوارهم ضد العدو الصهيوني ، إذ وضع الشعب العراقي بجميع طوائفه نصب عينيه مصلحة الشعب الفلسطيني ؛ وهو التخلص من خطر الصهيونية ، والعمل على حل أزمة الشعب الفلسطيني ، وإزالة الظلم الواقع عليه<sup>(٢)</sup>. وحول ذلك الوضع تقول الرواية:

سעה שחבריו לכיתה וגם מוריו ניהלו ויכוח ער על זהותם על רקע שביתות המסחר וההפגנות שהתקיימו בעיראק נגד היהודים והבריטים בשל מאורעות תרפ"ט בארץ ישראל، הוא ישב בצד ולמד במרץ לבחינות. לא הפריע לו כלל שיהודי עיראק נאלצו בשל אירועים אלה לסגור את עסקיהם מרוב פחד ולא לצאת מבתיהם במשך שבועיים. הוא לא נטל חלק בוויכוח הסוער. לא עניינו אותו לא חסידי עיראק، שראו בה את מולדתם، וגם לא אלה שתמכו בציונות וראו בארץ ישראל את מולדת היהודים<sup>(٣)</sup>.

١- شفيق الرشيدات : فلسطين تاريخاً وعبرة ومصيراً ، دار النشر المتحدة للتأليف والترجمة ، بيروت ، ١٩٦١ ، ص ١٩٢ .

٢- فاروق صالح العمر: المعاهدات العراقية - البريطانية واثرها في السياسة الداخلية ١٩٢٢ - ١٩٤٨ ، منشورات وزارة الإعلام ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ٢٨٠ .

٣- ציונית פתאל קופרווסר: התמונות שעל הקיר، עמ" 94-95.

" في الوقت الذي كان فيه يناقش فيه زملاؤه في الفصل وكذلك مدرّسوه، هويتهم على خلفية الإضرابات التجارية، والمظاهرات في العراق ضد اليهود والبريطانيين بسبب أحداث عام ١٩٢٩ في الأرض المقدسة، تنحى جانباً ودرس بجد استعداداً للامتحانات. ولم يزعجه نهائياً أن يهود العراق اضطروا، بسبب هذه الأحداث، إلى إغلاق أعمالهم من شدة الخوف ولم يخرجوا من بيوتهم على مدى أسبوعين. لم يشارك هو في هذا الجدل. ولم يكن يهّمه أنصار العراق الذين اعتبروه وطنهم، ولا أولئك الذين أيدوا الصهيونية واعتبروا أرض إسرائيل وطن اليهود".

### • أحداث عام ١٩٣٣:

قام الآشوريون بثورة عام ١٩٣٣ اعتراضاً على توزيع حزب البعث العراقي للأكراد وتشبثيتهم في عدة مناطق متفرقة في العراق بعيداً عن الموصل - موطنهم الأصلي- في العقدين الأخيرين من القرن العشرين ، فاستغل الملك غازي غياب والده الملك فيصل وسفره لأوروبا ، وأمر الجيش بالتدخل لإخماد ثورة الآشوريين وقمعها ، وبناءً على تعليمات الملك غازي أمرت حكومة رشيد علي الكيلاني العقيد الكردي بكر صدقي بقمع ثورة الآشوريين بالقوة بزعم خيانة الآشوريين ، وإتهامهم بالعمالة لصالح الإنجليز ، فهاجم الجيش منطقة سميل ، ونفي العديد من الآشوريين خارج العراق ، وإسقاط الجنسية العراقية عنهم ، بالإضافة إلى تعرض العديد من الآشوريين الأبرياء لعمليات السلب والنهب والقمع والقتل والاعتقال على يد الجيش حينها ، فهاجر العديد من الآشوريين من العراق إلى ولاية متشغين الأمريكية ؛ حيث يسكن بها أكبر تجمع للآشوريين خارج العراق اليوم<sup>(١)</sup>.

وحول ذلك تقول الرواية عندما تطوع حبيب في الجيش العراقي لقمع ثورة الأكراد ، وعاد إلى بيته مصاباً بمرض السل ، فيقول متحدثاً إلى أمه نورية :

"سألهو أوتنو لذكا مريدوت نغد عيراق... لا הצלחתי להבין כמה אכזרים יכולים להיות בני אדם... שחיים באותה ארץ... זה לזה، ואני... שחשבתי שאין הבדל בין יהודים למוסלמים ובין כורדים לערבים ושכולנו בני עיראק... בני הפרת והחידקל... גיליתי שאנחנו היהודים לעולם... לעולם לא נהיה שווים להם... כי תמיד הם יסתכלו עלינו מלמעלה... על מי ששונה מהם،" אמר את דבריו בכאב גדול<sup>(٢)</sup>.

١-كمال ديب :موجز تاريخ العراق من ثورة العشرين إلى الحروب الأميركية و المقاومة و التحرير و قيام الجمهورية الثانية ، دار الفارابي ، ط١ ، ٢٠١٣ ، ص٥٠.

٢-ציונית פתאל קופרווסר: התמונות שעל הקיר، עמ" 160.

"أرسلونا لنقمع التمرد ضدّ العراق... ولم أستطع فهم إلى أيّ درجة قد يكون الإنسان قاسياً ... الذين يعيشون في نفس الأرض... بجوار بعضهم، وأنا... الذي اعتقدت أنّه لا فرق بين اليهود والمسلمين وبين الأكراد والعرب وأتّنا جميعاً أبناء العراق... أبناء دجلة والفرات ... اكتشفت أنّنا نحن اليهود لن نكون أبداً... أبداً مساوين لهم... لأنّهم سينظرون إلينا دائماً من أعلى ... إلى من هو مختلف عنهم"،

بسبب تلك الأحداث اضطر الملك فيصل إلى قطع زيارته لأوروبا ، وعاد إلى العاصمة العراقية بغداد ، منهنك القوى مريضاً ، ولكن محاولات راب الصدع لم تلقى قبولاً لدى حكومة رشيد علي الكيلاني ، فعاد لاستكمال زيارته العلاجية بسويسرا ، ولكنه وافته المنية في سبتمبر عام ١٩٣٣ ، وبذلك تقلد الملك غازي مقاليد الحكم بالعراق بعيد وفاة أبيه الملك فيصل ، الذي أحسن إلى اليهود ، وعاملهم معاملة طيبة ، فحزنوا عليه حزناً جماً<sup>(١)</sup> . وحول ذلك تقول الرواية :

"המלך פִּיסַל מת!" צעק הכרוז ברחובותיה של בגדאד והודיע על ארבעים ימי אבל. זעקות שבר נשמעו מבתי המוסלמים והיהודים כאחד על מותו של המלך שהיטיב עם נתיניו. "רק לפני פחות משנה חגגנו את עצמאות עיראק - וכבר איבדנו את מלכנו האהוב"<sup>(٢)</sup>.

" مات الملك فيصل!" هذا ما أعلنته المنشورات في شوارع بغداد معلنة الحداد أربعين يوماً. أُسمع صراخ الانهيار في بيوت المسلمين واليهود على السواء على موت الملك الذي أحسن لرعاياه. "فقبل أقل من عام احتفلنا باستقلال العراق – وها نحن نفقد ملكنا المحبوب".

#### • أحداث ١٩٤١:

لقد مرت بغداد بأحداث جثام في عام ١٩٤١ ، سميت بأحداث الفرهود ؛ وتعود أحداث تلك الواقعة عند زيارة اليهود لقبر النبي يوشع ، في يوم عيد الاسابيع ، فخرج آلاف اليهود للتنزه وصادف ذلك اليوم مهرجان استقبال ملكي للأمير عبدالإله الوصي على عرش العراق ، بعد أن خاب انقلاب رشيد علي الكيلاني ، فحدث احتكاك ومشاجرة بين اليهود والمسلمين ، تطورت الواقعة إلى تشاجر ومعاركة كبيرة أسفرت عن قتل شخصين وإصابة العديد من اليهود ، فاعتبر المشادة عادية واعتقل القتلة ، وعند المساء تم السماح بالتجوال في الشوارع ، إلا أن جميع اليهود كانوا يظهرون فرحتهم بفشل انقلاب رشيد علي الكيلاني وهزيمته وقواته الحليفة لألمانيا ، فأخذوا يتناوشون والجنود والجيش المنهزم ، وهنا كانت الفرصة سانحة أمام الإنجليز

١-عمار علي السمر : شمال العراق ١٩٥٨ - ١٩٧٥ : دراسة سياسية ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ط١ ، الدوحة - قطر ، ٢٠١٢ ، ص ١٠٥ .

٢-زيونيت فتال كوفروروسر: التمازونات سعل الكير، عزم" 151.

وقوات الكيلاني المقهورة لإفلاق الرأي العام ، فهذا ما دفعهم إلى إثارة الفتنة والقتال ، وأدت إلى اندلاع الشغب والاعتقال والعنف الدموي . ولأن الدولة حينها كانت في مرحلة انتقالية بلاحكومة انتهز بعض الأعراب الخارقين للقانون الفرصة وقاموا بأعمال السلب والنهب ، وترويع المواطنين العراقيين بكافة طوائفهم ، فلم يكن حينها قد نصب الوصي على البلاد فقام على الفور الامير عبدالإله بإصدار الأوامر بقمع المشاغبين وأعمال العنف واستخدام القوة واسرع قوات الخيالة والمصفحات إلى شوارع بغداد ، واغلقوا مداخل الأسواق ، وأطلقوا وابلاً من النيران على المشاغبين ما أردى أكثر من ١١٠ قتيلاً ، وإصابة الكثير<sup>(١)</sup> .

وحول تلك الواقعة تقول الرواية :

תדהמה וחרדה אחזו ביהודים אחרי הפּרהוד - כך כינו היהודים את פרעות המוסלמים בהם בחג השבועות, שבמהלכן נרצחו במשך יומיים יהודים רבים, נשים נאנסו, חולים בבתי חולים הורעלו, בטניהן של נשים הרות רוטשו, בתי כנסת חוללו ובתים וחנויות נבזזו<sup>(٢)</sup> .

" ساد الخوف والدهشة بين اليهود بعد الفرهود – اللقب الذي أطلقه اليهود على شغب المسلمين ضدهم في عيد الأسابيع تصبت النساء، والذي قُتل فيه على مدى يومين الكثير من اليهود ، واغتصبت النساء ، وسمم المرضى في المستشفيات، وبُقرت بطون النساء الحوامل، وُدنست الكنس ونُهبت البيوت و الدكاكين" .

تجدر الإشارة إلى أن الحركة الصهيونية استغلت واقعة الفرهود بشكل كبير ؛ لتحقيق أهدافها ؛ وهي إظهار يهود العراق للعالم على أنهم مضطهدين من ناحية ، وإجبار يهود العراق على الهجرة إلى فلسطين من ناحية أخرى . وفي الحقيقة ، لم تكن واقعة الفرهود هي الحدث الأول الذي استغله الصهاينة ، بل سبق لهم استغلال أحداث قيام الجيش العراقي بالقضاء على التمرد الأشوري في عام ١٩٣٣ ، فأخذت تندد بأعمال الجيش العراقي بأنه اضطهاد للأقليات وشن حملات تطهير ضد اليهود كأقلية ، وذلك لاستغلال الفرصة لتهجير اليهود من العراق لفلسطين بعد إغلاق ومنع الهجرة من أوروبا ، من أجل تكثيف العدد السكاني لليهود بفلسطين حينها في مواجهة الفلسطينيين أصحاب الأرض<sup>(٣)</sup> .

١-يعقوب يوسف كورية: يهود العراق: تاريخهم، أحوالهم، هجرتهم، دار الأهلية، عمان ، ١٩٩٨ ، ص ٤٣ .

٢-ציונית פתאל קופרווסר: התמונות שעל הקיר، עמ" 280.

٣-ليف جرينبرغ : اليسار الأشكنازي: فحص ما بعد الوفاة في قضايا إسرائيلية ، مركز مدار ، السنة الرابعة، عدد ١٤ ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٩ .

• نشاط الحركة السرية الطلائعية في العراق:

حركة الطلائع هي حركة قُطرية ولا تنفصل عن الحركة العالمية للطلائع ، وهي تعمل على الاعداد الروحي والبدني لجمهير الشبيبية اليهودية في العالم ، وتلقن حركة الطلائع اعضاءها الآتي: اللغة والثقافة العبرية العبرية ، والدفاع عن اليهود ، والمشاركة الفعالة في نشاط صندوق الكيرن كيمت "קרן קיימת" \* ، والهجرة في جميع الظروف ومختلف الوسائل ، وتحرير المرأة اليهودية من القيود الاجتماعية ، والنشاط الاجتماعي في حركة الطلائع يشمل جميع نواحي الحياة والعمل ، وحياة العمل والدفاع والاستيطان في فلسطين<sup>(١)</sup>.

وأخذت حركة الطلائع في مدينة بغداد بالتوسع والازدياد ، فتحسنت معرفة أعضاء الحركة باللغة العبرية ، وخاصة بعد أن أحضرت كتباً عبرية من فلسطين لتدريس اللغة العبرية للمبتدئين ، مثل كتاب "עלייה א" الهجرة أ ، وكتاب "עלייה ב" الهجرة ب ، وكذلك صحفاً عبرية<sup>(٢)</sup> ، كانت تنقل من فلسطين إلى العراق بواسطة الجنود اليهود الفلسطينيين الذين يخدمون في الجيش البريطاني المرابط في العراق ، ولعب هؤلاء الجنود دوراً هاماً في تدريس اللغة العبرية ونشر الثقافة الصهيونية بين أعضاء حركة الطلائع<sup>(٣)</sup>.

كان السبب الرئيسي الذي أدى إلى عدم توسيع حركة الطلائع بشكل كبير في العراق ؛ هو ظروف العمل السري للحركة و الملاحقة المستمرة للسلطات العراقية للنشاط الصهيوني<sup>(٤)</sup>. وحول ذلك تقول الرواية:

נחום החביא את הספרים בין חפציו، ולעת ערב، כשזפי הלך לישון، הציץ בהם וראה שחלקם ספרים ללימוד עברית، ביטאון שנשא את השם "ציון" בערבית، ומחברת שנשאה את הכותרת "תנועת החלוץ". כשחזרו לבגדאד הוציא את הספרים מהמסתור ונעזר גם בהם כדי ללמוד בשקיקה את השפה העברית، במקביל לשיעורים שקיבל מחניני בעברית ובערבית. כך יכול היה לקרוא מהמחברת על תנועת "החלוץ" בעיראק ומטרותיה، ועל הבעיה הציונית. בעבר، כשהיה מוקף בחבריו המוסלמים، לעג לחבריו בשכונה שהצטרפו לציונים או לקומוניסטים. עתה התחיל להבין את הלהט שראה בעיניהם ככל שהעמיק בקריאת הספרים שהתגלגלו לידיו، כך גבר רצונו להתקרב

\* هي منظمة صهيونية تأسست في عام ١٩٠١ كوسيلة لجمع الأموال من اليهود لشراء الأراضي في فلسطين، وإقامة المستعمرات اليهودية على تلك الأراضي .

-يهودا سلوتسكي: "تاريخ الهجناه - حرب فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٤٨ ، الرواية الإسرائيلية الرسمية ، ترجمة أحمد خليفة ، بيروت مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٨٤ ، ص ٩٧ .

٢-يوسف منير: خلف الصحراء - الحركة السرية الطلائعية في العراق ، ترجمة حلمي عبد الكريم الزعبي ، ج ١ ، بغداد ، مركز الدراسات الفلسطينية ، ص ٦٢ - ٦٣ .

3-Kirk George : the Middle East in the war,(1939-1946),london, oxford press1952,pp227-230

٤-يوسف منير: خلف الصحراء - الحركة السرية الطلائعية في العراق ، مرجع سابق ، ص ١٤٠ .

لأنه انشئ التנוعة הציונית. הוא החל לפקוד את המקומות، שבהם בילו בני גילו שלמדו בבתי הספר היהודיים וניסה לחבור אליהם. אבל הם התרחקו ממנו، כי חששו שמא בא לרגל ולהלשין עליהם בפני הבולשת העיראקית. מוריס، אחד המדריכים בתנועה שהכיר את חיים - הוא שגייס אותו לתנועת הנוער של המחתרת הציונית לאחר שהתחקה אחריו והבין שכוונותיו טהורות<sup>(1)</sup>.

" חבא נאחומ הכتب بين أغراضه، وعندما ذهب زكي في المساء لينام، نظر فيها ورأى أنّ بعضها كتب لتعليم اللغة العبرية، ومجلة "صهيون" باللغة العربية، وكراسة تحمل عنوان "الحركة الطلائعية الصهيونية". عندما عاد إلى بغداد أخرج الكتب من المخبأ، واستعان بها بشغف في تعلم اللغة العبرية، مع الدروس التي تلقاها من حنيني بالعبرية والعربية. هكذا أصبح في مقدوره القراءة عن الحركة الطلائعية في العراق، وأهدافها، وعن المسألة الصهيونية. كلما تعمق في قراءة الكتب التي وصلت إلى متناول يديه، زادت لديه الرغبة في الاقتراب من رجال الحركة الصهيونية. بدأ يرتاد الأماكن التي كان يقضي فيها أبناء جيله في المدارس اليهودية وقتهم، وحاول الانضمام إليهم، لكنهم ابتعدوا عنه خشية أن يكون قد جاء للتجسس عليهم والوشاية بهم لدى الشرطة السرية العراقية. لكن مورييس، أحد المرشدين في الحركة والذي كان يعرف حיים جنده لحركة الشباب التابعة للحركة السرية الصهيونية بعد أن تتبعه وعلم صدق نوايا".

#### • أحداث ١٩٤٨ :

كانت الأحداث المتباينة في أربعينيات القرن الماضي قوية جداً ؛ حيث أدت إلى تقلبات شديدة بعلاقة اليهود العراقيين ؛ وذلك بسبب غضب العرب من الممارسات والعدوان للحركة الصهيونية في فلسطين واحتلالها للأرض العربية ، كما أدت إلى تحول كبير في شكل العلاقة باليهود لاسيما بعدما تعزز حجم الكراهية والصراع الذي كان للمنظمات القومية دوراً كبيراً فيه ، إلا أن موقف اليهود العراقيين وقتها كان يميل إلى تأييد قيام دولة إسرائيل ، لكن موقف المنظمات القومية كان يناصر الرأي بضرورة المساواة بين اليهود العرب والصهاينة. وقد أيدت الصحافة ذلك في مقال لجريدة اليقظة البغدادية قانلة : أن الأحكام العرفية لابد أن تطبق على اليهود برمتهم باعتبارهم من الطابور الخامس ، ودعت الصحيفة إلى مقاطعة المتاجر اليهودية لمنع نموهم الاقتصادي بعدما انتهكوا الأرض العربية. بل أن يهود العراق كانوا ورقة سياسية في يد الساسة يلوحوا بها من وقت لآخر فقد هدد نوري السعيد السفير البريطاني ببغداد بطرد مائة ألف يهودي عراقي بهدف إحراج الصهاينة وإسرائيل<sup>(2)</sup>.

١- ציונית פתאל קופרווסר: התמונות שעל הקיר ، עמ' 283-284.

٢- أحمد مصطفى جابر: اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ، المركز العربي للدراسات الإجتماعية التطبيقية ، ٢٠١٤ ، ص ١٠.



קניני הביעה אל אאגאה בפני נורקה, ואמרה שאינה יודעת לאן נחום נעלם בימים שלא עבד. "הוא כבר לא מסתובב עם חבורת הפרחחים, אבל אינני יודעת לאן הוא הולך," אמרה. נורקה הרגיעה אותה ואמרה שהיא לא חשה שבנה נמצא בסכנה - אף שכל היהודים בעיראק נמצאים כעת בסכנת חיים, גם אלה שאינם תומכים בתנועה הציונית, משום שבעיני המוסלמים כבר לא היה הבדל בין יהודי עיראק לבין הציונים שבפלסטין. המצב ברחוב הלך והחמיר. ההמון שולהב על-ידי לאומנים ערבים, וקריאות "מוות ליהודים!" נשמעו בכל מקום; הפרלמנט העיראקי הגדיר את הציונות כפעילות חתרנית, שעונשה ממאסר ועד מוות; גברים התנדבו לצאת למלחמה ולשחרר את פלסטין מידי היהודים, ונשים תרמו את הזהב שלהן למאמץ המלחמתי. גם התקשורת העיראקית הסיתה את ההמונים נגד היהודים, שחיו בשלווה בארץ שבין הנהרות זה אלפיים וחמש מאות שנה, עוד מהימים בהם נקראה בבל. יהודים רבים פוטרו מעבודתם במשרדי הממשלה.<sup>(1)</sup>

" אערת חניני לנורייה ען אלקה ואלת להא אנהא לא אערף אין יאאא נאחום פי האיאם אלתי לא יעמל פיהא. "פיהו לא יאאול באאבה الصعاليك, لكنني لم أعد أعلم إلى أين يذهب", قالت. هأأها نورييه وאלت لها أנהا لا أأعر بأن ابنها في خطر - على الرغم من أن كل يهود العراق أصبحوا في خطر يهدد حياتهم، حتى أولئك الذين لا يؤيدون الحركة الصهيونية، لأنه لم يعد هناك فرق في نظر المسلمين بين يهود العراق وبين الصهاينة في أرض فلسطين. ازداد الوضع خطورة في الشارع، وقام القوميون العرب بأشعال حماسة الجماهير وأصبحت أسمع صياحات "الموت لليهود" في كل مكان؛ ووصف البرلمان العراقي الحركة الصهيونية بالنشاط الهدام، الذي قد تبلغ عقوبته الموت؛ وتطوع الرجال للخروج إلى الحرب لتحرير فلسطين من أيدي اليهود، كما تبرعت النساء بجليها للمجهود الحربي. حتى الإعلام العراقي حرص الجماهير ضد اليهود الذين عاشوا بهدوء وسلام في بلاد ما بين النهرين لألفين وخمسائة عام منذ العصر الذي كانت تسمى فيه بابل. فصل الكثير من اليهود من وظائفهم في الوزارات."

1- ציונית פתאל קופרווסר: האמונות שעל הקיר, עמ' 284-285.



• إسقاط الجنسية:

أقرت حكومة توفيق السويدي قانون إسقاط الجنسية العراقية عام ١٩٥٠ بعد موافقة مجلسي النواب والأعيان، والذي ينص على: " إسقاط الجنسية العراقية عن أي مواطن عراقي يرغب بإخياره الحر في مغادرة العراق نهائياً"، وكانت الحجة الرئيسية للحكومة العراقية لسن هذا القانون، هو أن ارتفاع نسبة المهاجرين اليهود بصورة غير شرعية كان يمكن أن تؤدي إلى عقاب صارم، ربما يصل إلى إعدام، كما قد يواجه اليهود المخالفون لذلك تهمة محاولة الانضمام إلى العصابات الصهيونية في فلسطين<sup>(١)</sup>.

وحول ذلك تقول الرواية: **בעודו מנסה לשחזר את הדברים שאמרה לו תפיפה، הגיע מוריס המזריך לדירת המסתור ואמר לו את הידיעה המרעושה: "הממשלה העיראקית מאפשרת، החל ב 9- מאי 1950، לכל יהודי לעזוב את עיראק - בתנאי שיוותר על אזרחותו. זהו، נחום، אין צורך להבריח אותך דרך איראן. אני שולח אותך כבר עכשיו לבצרה כדי לעזור לנו להוציא את היהודים. לאחר שתסיים שם את המשימה، תחזור לכאן - לבגדאד**<sup>(٢)</sup>.

" في أثناء محاولة تذكّر الكلمات التي قالتها له حبيبة، جاء موريس إلى شقة المخبأ وقال له هذا النبأ الصادم: "ستسمح الحكومة العراقية بداية من ٩ مايو ١٩٥٠، لكل اليهود بمغادرة العراق - شريطة التنازل عن الجنسية. لا حاجة الآن إلى تهريبك عبر إيران. سأرسلك الآن إلى البصرة لتساعدنا في إخراج اليهود، ثم تعود إلى بغداد بعد أن تنهي المهمة".

يمكن القول أن الكاتبة تسونيت فتال نجحت في تجسيد العالم الواقعي والخيالي؛ حيث تجدر الإشارة إلى أن الشخصيات المتخيلة في " رواية الصور التي على الحائط " التي جاءت شاهدة على مجريات الأحداث التاريخية في الرواية، بدت وكأنها واقعية وقائمة، فالخطاب الروائي لا يمكن أن يصير تاريخاً ابداً حتى لو تم استحضار أحداثه أو شخصياته في الرواية، ولن يكون سرداً حقيقياً بل سرد جمالي مطعوم بالخيال والبيان. فيمكن القول بأن الرواية عمل إبداعي من بنات أفكار ومخيلة الروائي يداعب بها الواقع ويمزجه بالخيال، ومن هنا يتضح أن علاقة الواقع بالمتخيل لا بد منها، لأن الإنسان لا يمكنه أن يتخيل إلا إنطلاقاً من الحقيقة أو الواقع<sup>(٣)</sup>.

١- عباس شبلاق: هجرة أو تهجير ظروف وملابسات هجرة يهود العراق، مرجع سابق، ص ١٠٢.

٢- صيونيت فتال كوفرووسر: التמונות שעל הקיר، עמ" 296.

٣- هنية جوادي، التمثيل السرد والتاريخ الوطني في روايات واسيني الأعرج، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، العدد، ٨، ٢٠١٣، ص ٩٨.

أما عن شخصيات الرواية ، فهي مستمدة من الواقع لكنها مختلفة عنه في تكوينها وتفردا وسماتها ومظهرها الخارجي ؛ لأن المؤلف هو من وظف بخياله تكوين كل شخصية في الرواية ، وسخرها كأداة فنية لغاية مرجوة تغياها حين تكوينه لها <sup>(١)</sup> .

أما عن سرد الوقائع والأحداث التاريخية فقد نجحت الكاتبة تسونيت فتال عند سردها للوقائع والأحداث التاريخية أو الإخبار ذات الصدى المرجعي في التأكيد على دقة الكتابة من خلال ذكر التواريخ المحددة للوقائع ، واعتنت بتفاصيل حيثيات هذه الوقائع بدقة . بالإضافة إلى نجاح الكاتبة في سرد الأبعاد الدلالية للأحداث التاريخية في الرواية ، فالجدير بالذكر أن الرواية لا تسرد التاريخ حرفياً كأحداث ووقائع تاريخية فحسب ، بل تعرضه بطريقة خاصة نرى فيه الأحداث والمشاهد من وجهات متباينة ومنظورات متعددة <sup>(٢)</sup> ، وهذا ما ظهر في الرواية ؛ حيث حملت في ثناياها مجموعة من المشاعر والأحاسيس التي تملك ذات الكاتبة ؛ عندما تناولت تاريخ يهود العراق في النصف الأول من القرن العشرين أي في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين ، لتتناول خلال تلك الفترة أحداث واقعية وأحداث تخيلية بأسلوب أدبي فني في غاية الإبداع ، عن طريق المزج بين الواقعي والمتخيل لعرض وجهة نظرها من تلك الأحداث .

وتجدر الإشارة إلى أن حتمية وجود الخيال للروائي في الرواية سواءً عند تناوله للأحداث أو الشخصيات ؛ وذلك لأن هناك خيال أو ملكة للروائي تدعوه إلى إسباغ الخيال على الواقع ، وإظهار ما للواقع من تأويلات وتبدلات ؛ وذلك لتحقيق الواقع لا لمحاكاته أو تبديله ، بل لتخفيف فجوات الواقع وتعميق المعرفة بالواقع ؛ حيث أن الحقائق والوقائع التاريخية في أي رواية لابد لها أن تسطر في الرواية بالوسائل الجمالية كالخيال للروائي القاص الذي يرسم صورة فنية بخياله وتصوره يتجاوز فيها الواقع عند كتابته لرواية تاريخية مثلاً <sup>(٣)</sup> ، وهذا ما جعل رواية " الصور التي على الحائط " ذاخرة ببعد فني عبر عن العلاقة التي تجمع الواقع بالمتخيل ، دون تزييف للحقائق والوقائع التاريخية أو تشويه للتاريخ والشخصيات التاريخية .

١- هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصرالله ، الأردن، ٢٠٠١ ، ص ١٢١ .

٢- عبد الرحمن منيف: الكاتب والمنفى (هموم وأفاق الرواية العربية) ، دار الفكر ، ط١، بيروت، ١٩٩٢، ص ٣٦٤ .

٢- -شعيب حليفي : تخيل الحقيقة في السرد الروائي (الهوية والتخييل في الرواية) ، أهل القلم ، ط١ ، الجزائر ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٥ - ٢٦ .

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- تطور جنس أدبي مميز، وهو أدب السيرة الذاتية الذي فرض وجوده في الأدب العبري منذ بدايات ذلك الأدب.
- معرفة أحوال ووضع يهود العراق في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين أي في النصف الأول من القرن العشرين .
- كشفت الرواية محل الدراسة تأثر الكاتبة تسونيت بينتها العراقية ، وظهر ذلك من خلال استخدامها الأسماء والعادات والتقاليد والطقوس العراقية ، ووصفها الأحياء اليهودية والأماكن القديمة في بغداد ، كما جاءت اللغة متناسقة مع البناء والسلوك الاجتماعي لشخصيات الرواية .
- لعبت الوقائع التاريخية دوراً مهماً فكانت العنصر الأبرز في تلك الرواية ، وهي عبارة عن مجموعة أحداث وقعت في فترات تاريخية مختلفة وهي: استحضار الحكم العثماني للعراق ، والاحتلال البريطاني للعراق ، واستحضار وقائع ثورة ١٩٣٣ ، وثورة ١٩٣٦م ، وثورة ١٩٣٩ ، واستحضار نكبة ١٩٤٨ . وقد تم توزيع تلك الأحداث بشكل متسلسل .
- نجحت الكاتبة تسونيت فتال في تجسيد الواقع العراقي ، ونقل صورته الحقيقية في فترة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين ؛ حيث كان التناول بشكل جريء ومفصل للأحداث ومشابهاً بما حدث على أرض الواقع دون تزييف أو تشويه للحقائق التاريخية .
- استطاعت الكاتبة تسونيت أن تجسد الواقع في روايتها بصوره خياليه لتجعل الحقيقة تبدو واقعية ، وواقعية تبدو خيالية.

## المصادر والمراجع

### قائمة المصادر والمراجع

#### أولاً: باللغة العربية:

#### أ- المراجع:

#### ١- الكتب:

- أحمد مصطفى جابر: اليهود العرب والصهيونية قبل النكبة من اللامبالاة إلى الاستحواذ ، المركز العربي للدراسات الإجتماعية التطبيقية ، ٢٠١٤ .
- أحمد هيكل : الأدب القصصي والمسرحي في مصر في أعقاب ثورة ١٩١٩ إلى قيام الحرب الكبرى، دار المعارف ، مصر، ط٤، ٢٠٠٦ .
- حسين خمري: فضاء المتخيل مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف، الجزائر ، ط ١، ٢٠٠٢ .
- شعبان عبد الحكيم محمد السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (رؤية نقدية)، ط١ ، مصر. دار العلم والايمان للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩ .
- شعيب حليفي : تخييل الحقيقة في السرد الروائي (الهوية والتخييل في الرواية) ، أهل القلم ، ط١ ، الجزائر ، ٢٠٠٨ .
- شفيق الرشيدات: فلسطين تاريخاً وعبرة ومصيراً ، دار النشر المتحدة للتأليف والترجمة ، بيروت، ١٩٦١ .
- طه حسين: بين السيرة والترجمة الذاتية ، مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ .
- عباس شبلق: هجرة أو تهجير ظروف وملابسات هجرة يهود العراق ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ط١ ، بيروت ، ٢٠١٥ .
- عبد الرحمن منيف: الكاتب والمنفى (هموم وآفاق الرواية العربية )، دار الفكر ، ط١، بيروت، ١٩٩٢ .
- عمار علي السمر : شمال العراق ١٩٥٨ - ١٩٧٥: دراسة سياسية ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ط١ ، الدوحة - قطر ، ٢٠١٢ .
- فاروق صالح العمر: المعاهدات العراقية -البريطانية واثرها في السياسة الداخلية ١٩٢٢ -١٩٤٨ ، منشورات وزارة الإعلام ، بغداد، ١٩٧٧ .
- كمال ديب : موجز تاريخ العراق من ثورة العشرين إلى الحروب الأميركية و المقاومة و التحرير و قيام الجمهورية الثانية ، دار الفارابي ، ط١ ، ٢٠١٣ .
- هيام شعبان : السرد الروائي في أعمال إراهيم نصرالله ، الأردن ، 2001 .
- يعقوب يوسف كورية: يهود العراق: تاريخهم، أحوالهم، هجرتهم ، دار الأهلية ، عمان ، ١٩٩٨ .

## ٢- أجزاء الكتب:

- إبراهيم نصر الدين عبد الجواد دبيكي: التعالق بين الرواية والسيرة الذاتية " قصة عن الحب والظلام " لعاموس عوز ، مجلة كلية الآداب ، جامعة حلوان ، العدد ٢٦ ، ٢٠٠٩ .
- السيرة الذاتية في الرواية العبرية المعاصرة : دراسة لرواية " بين مخالب القدر " للأديبة رحيل سيدوف مزراحي، مجلة كلية اللغات والترجمة، ع ٢٤، ٢٠١٢.
- حداد نبيل، دراسة محمود: تداخل الأنواع الأدبية ، مؤسسة عبد الحميد شومان ، الأردن، جدارا للكتاب العالمي، مجلد ٢، ٢٠٠٩.
- سعيد بنكراد: السيرة الذاتية: حقائق التاريخ وممكنات الهوية السردية ، مجلة علامات، العدد ٣٨ ، المغرب ، ٢٠١٢ .
- ليف جرينبرغ : اليسار الأشكنازي: فحص ما بعد الوفاة في قضايا إسرائيلية ، مركز مدار ، السنة الرابعة، عدد ١٤ ، ٢٠٠٤ .
- هنية جوادي، التمثيل السردى والتاريخ الوطنى فب روايات واسيني الأعرج، مجلة المخبر، جامعة بسكرة ، العدد ٨ ، ٢٠١٣ .

## ٣- الكتب المترجمة:

- برنار فاليط : النص الروائي (تقنيات ومناهج) ، ترجمة رشيد بنحدو ، منشورات ناثن ، باريس ، ١٩٩٢ .
- جيريمي هوثرورن : مدخل لدراسة الرواية ، ترجمة : غازي درويش عطيه ، سلسلة المائة كتاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الدار التونسية ، ١٩٨٦ م .
- ديفيد لودج: الفن الروائي ، ترجمة ماهر البطوش، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢ .
- يهوذا سلوتسكي، "تاريخ الهجناه - حرب فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٤٨ ، الرواية الإسرائيلية الرسمية، ترجمة أحمد خليفة، بيروت مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٨٤ .
- يوسف منير: خلف الصحراء - الحركة السرية الطلائعية في العراق ، ترجمة حلمي عبد الكريم الزعبي، ج ١ ، بغداد ، مركز الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٦ .

## ٤- المعاجم والقواميس والموسوعات:

- دافيد سجييف عبري - عربي للغة العبرية المعاصرة ، المجلد الأول ، دار شوكن ، أورشلين وتل أبيب ، ١٩٩٠ م .

## ٥- الرسائل العلمية :

- زهيرة بنيني: بنية الخطاب الروائي عند غادة السمان ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الحديث ، ٢٠٠٧ .

- غادة حمدي عبدالسلام : اليهود في العراق في الفترة من «١٨٥٦-١٩٢٠» ،رسالة ماجستير ، كلية الآداب المنصورة ٢٠٠٧.

- غشام سارة : جدلية الواقع والمتخيل في رواية "شاهد العتمة" لبشير مفتي ، أطروحة ماجستير،الجزائر ،٢٠١٥.

### ٦-المقالات والمقابلات و المواقع الإلكترونية:

-مازن لطيف: الروائية تسيونيت فتال تقلب صورها على حائط الحي اليهودي في بغداد ، حوار في جريدة العالم البغدادية يوم الثلاثاء ١٧ /٥ /٢٠١٦ .

### ثانياً : باللغة العبرية :

#### أ- המקורות:

ציונית פתאל קופרווסר: התמונות שעל הקיר , שרי אשכנזי , קרית גת , ישראל 2015.

#### ב- הספרים:

- יוסף אגסי ואחרים : מי הוא הישראלי , כיוונים 1991.

- יוסי גולדשטיין : מבחר מקורות לתולדות הציונות בארצות המזרח, כרך ג', המרכז לשלוב מורשת - המזרח, 1977 .

### ثانياً: باللغة الإنجليزية :

-Kirk George : the Middle East in the war,(1939-1946),london, oxford press1952.